أبو العلاء حرب الظالمين

لأســـتاذ جليـــل

من (عبقرية) نابغة العرب أبو العلاء حَرْبُ الظالمين[١] وعدوُّ المستبدين، ونصير البائسات والبائسين، وخصيم المترَفين والباخلين، ومقرِّع المستكبرين والمدَّعين، ومجلُّ التواضع والمتواضعين، ومهجِّنُ الشراب الحرام والشاربين. وأقواله في (اللزوميات) في هؤلاء المذكورين مشهورة؛ ولم يغفل (نابغة العرب) في (الفصول والغايات) — عبقريته في النثر — عنهم. وفي الآيات البينات بعض ما قال فيهم:

— ١ —

« يا بُغاة الآثام، وولاةَ أمور الأنام، مرتع الجور وخيم، وغبُّه ليس بحميد، والتواضع أحسن رداء، والكبر ذريعة المقت، والمفاخرة شر كلام. كلنا عبيد لله »

— ٢ —

« ما بيتٌ يأتلق فيه الياقوت، وللزِّرياب[٢] حواليه شعاع، يسكنه ظالم جبار يسفك[٣] الدم، ويسفح دموع الباكيات[٤]، ويشرب كاسات الرحيق — بأعز عند الله من ناسجة العنبار[٥] فياويح جائر — إذا حكم — عات[٦]! »

— ٣ —

« إذا أصبح النصح ثقيلاً، والمساجد قالاً وقيلاً، وصارت الإمارة غلاباً، والتجارة خلاباً — فالبيت المخفور، خير لك من مشيدات القصور، والفقير أربح صفقة من ذي التاج »

(١) فلان حرب فلان أي محاربه
(٢) الزرياب: الذهب أو ماؤه، ويقال: مسغ يقع فيه ماء الذهب
(٣) بكسر العين وبالضم، وعن يحيى بن وثاب (لا تسفكون دماءكم) بالضم
(٤) الله أكبر! الله أكبر!
(٥) ناسجة العنبار: العنكبوت
(٦) العاتي: المتجاوز الحد في الظلم قال:
أدعوك يا رب من النار التي أعددتها للظالم العاتي العتي

— ٤ —

« إني لوَغد[١] وقد عرفت نفسي بعض العرفان، وحقرتها وهي جديرة بالاحتقار. خلقتني كما شئت، وأعطيتني ما لا أستحقه منك. ولعل في عبيدك من هو مثلي أو شر. في خزائنه بدَر[٢] اللجين والعقيان لا يطعم منها المسكين، ولا يغاث اللهوف »

— ٥ —

« إن من يفتقر إلىٰ لفقير، فأَعْن (اللهمَّ) كلَّ مسكين. وبئس البيت المسكون، بيت تحت الغبراء[٣] يكون، لا أس له ولا عمود، إنما هو من هباء، ليس بالطِّراف[٤] ولا الخِباء[٥] ولأعمالُ الصالحات خير ما راح إليه من السوام[٦]. فكن أيها الرجل من الصالحين، وإذا رأيت الملأ[٧] يبرمون أمراً فقل: لَعِب الولدان خراج[٨] »

— ٦ —

« أطعم سائلك أطيب طعاميك، واكس العاري أجَدَّ ثوبيك، وامسح دمع الباكية بأرفق كفيك »

— ٧ —

« ما ريَّا قُطُر[٩]، ورائحة حبيب عطر، بأطيب من ثناء

(١) أأنت الوغد يا أبا العلاء فما هؤلاء الناس إذن؟ أنت إنسان كامل، أنت ملك
(٢) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار ج بدر وبدور
(٣) الغبراء: الأرض لغبرة لونها أو لما فيها من الغبار
(٤) الطراف: بيت من أدم، والأدم الجلد
(٥) الخباء أحد بيوت العرب من وبر أو صوف (وفي القاموس أو شعر) وقد يستعمل في المنازل والمساكن
(٦) السوام: الابل الراعية، والابل مال القوم. وفي اللسان: أكثر ما يطلق الملك عند العرب على الابل لأنها كانت أكثر أموالهم
(٧) الملأ: رؤساء الناس ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم. الزعماء ورجال السياسة ...
(٨) خراج: الفداء: اسم لعبة لهم معروفة، وهو أن يمسك أحدهم شيئاً بيده ويقول لسائرهم أخرجوا ما في يدي، وخراج بكسر الجيم بمنزلة دراك وقطام. وفي (اللزوميات):
أرى الناس في مجهولة، كبراؤهم ☆ كولدان حي يلعبون خراج
(٩) الريا: الرائحة. القطر — بضم الطاء وسكونها — العود الذي يبخر به، وقد قطر ثوبه، وتقطرت المرأة؛ والعود في القاطر المجامر

مستطر[١] ، يُثنى به برٌّ على مُبرّ[٢] ! وذكر الله مراتع القلوب يستعذبه الأوّاب ، ويسكن إليه الصالحون . فاغسل الحوب[٣] بأن تتوب ، ولا تمرُكْ ذنبك بجنبك[٤] ، فتصرّ على سخط ربك، وإلى السوق تحمل الوسوق[٥] ، فما كان جيداً نفق ، وما كان رديًّا زهد فيه . وإنما أنت درهم إن اتقى وضح ، وإن فسق زاف[٦] »

— ٨ —

« خافوا الله وتجنبوا المسكرات : حمراء مثل النار ، وصفراء كالدينار ، وبيضاء تشبه الآل[٧] ، وكميتا وصهباء[٨] ، وكلّ ما أدرك من الألوان . لو كانت أقسام اللب كرهاق الحصى[٩] ، والسكرة من الجرّع بمثل ذاك لقلت : إن النَّغبة الواحدة حرام . ولو هُجر أب لجناية ولد لحرم العنب لجريرة المدام . وهل لها من ذنب ؟ إنما الذنب لعاصر الجون[١٠] ، ومستخرجها وردية اللون ، وحابسها فى الدَّن ، ومنتظرها برهة من الدهر ، وشاربُها وِرْدَ العطشان . فاجتنبوا ما يذهب العقول ، فيها عرف الصواب »

— ٩ —

« أحسن الفضل ما شهد به الملأ لغير شاهد ؛ إذ كان الغائب كثير المائب ، والحاضر يُباقى بالوجه الناضر ؛ والدعوى رأس مال قلما ربح تاجره وإن صدق . وأحب لابن آدم أن تكون مناقبه كمناقب الطِّرف الرائع[١] والسيف الحسام تذكر ، وهما صامتان »

— ١٠ —

« قد يكون الخمول داعياً للنباهة كالنار سترضوؤها بالييبس[٢] فأظهر ذلك لهباً »

* * *

أبو العلاء حسنة من حسنات سيدى وسيده (محمد) — صلى الإله على محمد — هداه (كتاب الله) فكان من المهديين ومن الأئمة الهادين ، وكان (والله) رهين المحبسين أزهد الزاهدين . واستضاء بالقرآن وبلاغة القرآن فأضاءت أقواله وأشمت وبهرت الناظرين والسامعين

نوّر القرآن قولاً فعلا ، وسما صاحبه فى القائلين

إنما القرآن هدى الناطقين . إنما القرآن نور العالمين

غثّ قولٌ لم يهذبه (الكتاب)

القارئ

(١) الطرف : الفرس الكريم ، فرس رائع يروعك (يعجبك) بمنظره وصفته

(٢) اليبيس : ما يبس من العشب والبقول التي تتناثر إذا يبست ، أو هو عام فى كل نبات يابس

(١) مستطر : مكتوب

(٢) المبر : المحسن المفضل . أبر فلان على أصحابه أى علاهم وفاقهم ، ومن أحسن إلى الناس أبر على غيره

(٣) الحوب : الأثم ، الذنب العظيم ، وفتح الحاء لغة تميم

(٤) عرك ذنبه بجنبي إذا احتملته . عرك بجنبه ما كان من صاحبه كأنه حكه حتى عفاه أى لا تنس ذنبك ، ولا تستهن بخطبه ولا تمش أمره

(٥) الوسق : الحمل عامة ، والجمع أوسق ووسوق

(٦) زاف الدرهم رد لغش فيه فهو زائف

(٧) الأصمعى : الآل والسراب واحد ، السراب الذى يجرى على وجه الأرض كأنه الماء وهو نصف النهار ، وفى السراب والآل أقوال

(٨) الكميت الخمر سميت بذلك لكلفتها ، قال قوم : معرب واصله كميتة أى مخلط كأنه اجتمع فيه لونان سواد وحمرة (الصهباء) : خمر من عصير عنب أبيض

(٩) رهاق الحصى — بضم الراء وكسرها — مثل زهائه ، يقال : القوم رهاق مئة أي زهاء مئة ومقدار مئة

(١٠) الجون : الأسود المشرب حمرة

الفصول والغايات

للفيلسوف الشاعر الكاتب

ابى العلاء المعرى

طرفة من روائع الأدب العربى فى طريقته ، وفى أسلوبه ، وفى معانيه . وهو الذى قال فيه ناقدو أبى العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة فى القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتى

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة

ويباع فى جميع المكاتب الشهيرة